المقاربة التشاكلية لرواية(اللجنة) للناقد المغربي عبد المجيد نوسي

د. دبيح محمد
جامعة تيارت

الملخّص: تتناول هذه الدراسة الإجراء السيميائي لفرعية التشاكل في الخطاب السردي، انطلاقا من التصور النظري الذي قدّمته مدرسة باريس السيميائية وكذلك توسيعات فرانسوا راستي في هذا المجال، وقد جاء هذا المقال ليبرز كيفية تلقي نقادنا العرب المحدثين لهذا المفهوم السيميائي ومدى تفعيله في الخطاب السردي، إذ يُظهر التشاكل في آخر المطاف الانسجام والاتساق الذي يسم العالم الحكائي الداخلي للرواية. ومقاربة عبد المجيد نوسي لرواية (اللجنة) للروائي صنع الله إبراهيم تختبر مدى إجرائية هذا المفهوم.

الكلمات المفتاحية: التشاكل الدلالي، الخطاب الروائي، سيميوطيقا السرد، التقطيع السردي، البنية السردية، مبدأ التراكم.

توطئة:

اهتمّت المدرسة السيميوطيقية بمفهوم التشاكل، ودأبت على إجرائه بتجريبه على الخطاب السردي، ضمن ثلاث بنيات متضافرة، بنية التجلي(الخطاب الظاهر)، البنية السطحية، البنية العميقة.

على مستوى البنية الأولى يقوم النموذج السيميوطيقي على تقطيع الخطاب إلى مقاطع سردية متسلسلة ومتكاملة، يصدّر كل مقطع بموضوع دلالي شامل تساهم في تشكيله مجموعة من التكرارات والتواردات البارزة، والتي تؤسس قاعدة تشاكلية أولى، ويعدّ التشاكل في هذه المرحلة معيارا هاما محدّدا للعمل التقطيعي، إضافة للمعايير السيميائية الأخرى(المعيار المكاني، المعيار الزمني، المعيار السردي، المعيار الفاعلي، المعيار الأسلوبي، المعيار الطبوغرافي...)، أمّا على مستوى البنية الثانية فيهتم المحلّل السردي بدراسة المكوّن السردي والمكوّن الخطابي، بينما على مستوى البنية الثالثة تتحدّد النسخة المجردة العميقة الثاوية وراء البنيات السطحية، وتبرز الأسس الجوهرية المنطقية التي تقوم بإنتاج المعنى والتي تكون سببا في المدّ التنوعي والاختلافي

للخطابات والنصوص[45].

وفي هذا المستوى يدرس السيميوطيقي المقوّمات النووية ضمن المستوى السيميولوجي والمقوّمات السياقية ضمن المستوى الدلالي، ومن خلالهما يكتشف التشاكلات السيميولوجية والدلالية.

1-التشاكل كمعيار تقطيعي في الخطاب الروائي:

يعتبر التشاكل من المعايير الهامة التي يستعين بها المحلّل السيميوطيقي في تقطيع الخطابات السردية على مستوى الوحدة الدلالية، برصد أهم التواردات التي تطفو على السطح وتبرز من خلال تراكم مقوّمات نووية وسياقية مشتركة في مقولات دلالية تساهم في النسيج الاتساقي والانسجامي للملفوظات السردية، مما يؤدي إلى قراءة موحّدة بعيدة عن الإبهام والغموض ويعتمد التشاكل في هذه الحالة على التحليل الدلالي للمقوّمات.

و يهدف التقطيع التشاكلي في هذه المرحلة إلى:

- تتبع التشاكلات الدلالية لكشف انسجام واتساق الملفوظات السردية والخطابيـــة وتجنّب كل تأويل مشتت يتسم بالغموض والإبهام يهدّد انسجام هذه الملفوظـــات.
- رصد الحركة الدينامية للخطاب السردي، من لحظة التكوّن والميلاد والتناسل إلى غاية التشظي والتشكّل النهائي للصورة السردية العامة، عبر وسائط التمطيـط والإثراء والتفاعل، حيث تنتظم التشاكلات "داخل مسارات تصويرية هي التي تؤدي إلى تصوير البرامج السردية، والمسارات السردية لعوامل السرد "[46]، وبفعل التوارد الاختيـاري

---

[45]- ينظر جميل حمداوي:" السيميوطيقا والعنوان" **مجلة عالم الفكر**، مجلد 25 رقم3، الكويت، ص 79

[46] - عبد المجيد نوسي: **التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية-التركيب-الدلالة**، ط1، شركة النشر و التوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2002، ص 92

والقسري للعناصر اللسانية التي تولّد المقوّمات السياقية تنتج الشبكة التشاكلية للملفوظات.

-آلية التراكم و التوارد في الخطاب السردي:

هناك آليتان أساسيتان يعتمدهما التشاكل في اشتغاله على طول السلسلة التركيبية لضمان انسجام الرسالة: آلية التراكم القسري، و آلية التراكم الاختياري.

أ-آلية التراكم القسري:

يتم التراكم والتوارد بداية على مستوى البنية السطحية التي تستند إلى مكونين أساسين مستقلين متمفصلين، فالمكـوّن السردي يتناول الأفعال والحالات والتحوّلات ومنطق الجهات والبنية العاملية، أمّا المكوّن الثاني فيقارب التسلسل التصويري الذي تقترحه الوحدة المعجمية المحدّدة لتوليد وتنمية الخطاب. وهذان المكوّنان -في نظر غريماس- يحلان مشكلة الخطوة الغامضة لفعل السرد الذي ينهج مسارين تركيبين متوازيين: مسار البرنامج السردي المحدد بتوزيع الأدوار العامليلية، ومسار التصوير الخطابي[47].

فالمساران على الرغم من انفصالهما منهجيا، هما متصلان ومتوازيان، لأنّ التسريد لا يمكنه أن يرتبط فقط بالبنية العاملية والبرنامج السردي فقط، وإنّما يشتغل بتضافر مع المكوّن السردي لإنتاج الملفوظات السردية و تناسلها.

" إنّ وضع وتحقيق وحدة معجمية تتعالق بتشاكل الخطاب العام، يفضي إلى تسلسل قسري لمجموعة من الوحدات المعجمية التي تكون متعالقة بالتشاكل العام للخطاب. وتراكمها الذي يؤدي إلى التمطيط والتوسع لوحدات ترتبط بقاعدة موحدة من المقوّمات السياقية هو الذي يضمن انسجام النص واتساقه"[48]. وعلى ذلك تكون أول آلية لتحقيق التشاكل المرتبط بالخطاب العام

47- Voir :Greimas : **Du sense 2** op, cit, P61

48 - المرجع السابق: ص 106

هي آلية التراكم القسري للصور المعجمية التي تساهم في تكوين مسارات تصويرية على طول السلسلة التركيبية للملفوظات السردية.

ب-آلية التراكم الاختياري:

الصور المعجمية ليست صورا محدودة ضيقة، وإنّما تتسم بالمرونة والاتساع وقابلية التمدد بتفعيل وتحيين مقوّماتها السياقية عن طريق التجاور الالتقائي أو الاختياري ضمن المسار الخطابي وذلك كلّه لتجميع مشهد تصويري له تنظيمه واشتغاله الخاص.

يوضح غريماس هذا التداعي بمثال عن الوحدة المعجمية (الشمس) التي تستقطب إلى حقلها مجالا تصويريا يتضمن الوحدات الآتية: الأشعة، الضوء، الحرارة، الوضوح..." فإذا كانت الوحدات المعجمية تتمظهر مبدئيا في إطار الأقوال، فإنّها تتعالى بكل سهولة على هذا الإطار وتؤسس شبكة تصويرية علائقية على المقاطع في كليتها و تكوّن مجموعة تصويرات خطابية"[49]، وهو ما نلاحظه في المثال السابق حيث قامت الوحدات المنضوية في مجال الشمس بتأسيس كوكبة تصويرية يمكنها أن تتعالق مع وحدات أخرى في مقاطع متسلسلة، مشكّلة نموذجا تراكميا بطريق التداعـي والتوارد.

فالتراكم الذي يحصل به التشاكل يتم بآليتين:

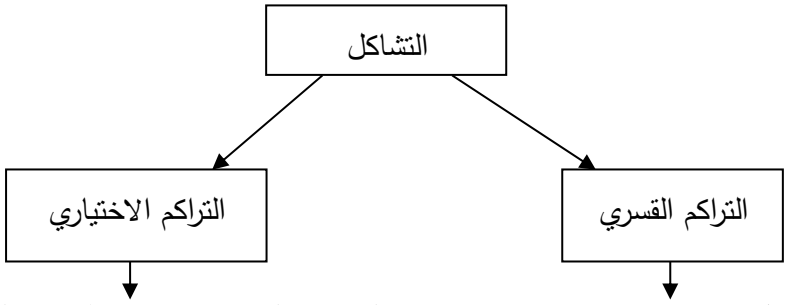

[49] – المرجع نفسه: ص 106

2-التشاكل و الخطاب الروائي:

لقد حاول النقاد العرب تطبيق هذه المفاهيم على الخطاب الروائي، بكيفيات متعددة، ومن زوايا محددة، مع اختلافهم في الهدف المنشود من كل دراسة، فهناك من حاول إثبات الانسجام و الاتساق في بعض الروايات التي أثارت جدلا واسعا في الساحة النقدية، مثل رواية (ذات) لصنع الله إبراهيم، والتي حاول من خلالها الناقد المغربي محمد الداهي دحض مزاعم بعض المتابعين للمشهد الروائي العربي بأنّ رواية ذات لا تقوى على خلق عملية التراتب العضوي بين الأجزاء المكوّنة لها، ومن خلال إجراء التشاكل أثبت محمد الداهي أنّ المقاطع السردية للرواية متسقة ومنسجمة فيما بينها، ومن جهة أخرى قام نقاد آخرون بالبحث عن التشاكلات بين مجموعة من الروايات التي تصدر عن مبدع واحد، بالبحث عن الانسجام الخارجي بين هذه الروايات وتحديد بنيتها المتعالية.

أما الناقد المغربي عبد المجيد نوسي فيتناول التشاكل الحكائي لرواية (اللجنة) من زاوية أخرى، حيث يحاول الكشف عن البنى التشاكلية الأساسية المنظّمة للخطاب الروائي الخاص بالرواية، وهو ما سنقوم بمتابعته في هذا البحث.

يقدّم لنا عبد المجيد نوسي في كتابه(التحليل السميائي للخطاب الروائي) دراسة سميائية للخطاب الروائي العربي، ويتخذ من رواية(اللجنة) للروائي المصري صنع الله إبراهيم[50] نموذجا محددا لتحليله، وقد برّر هذا الاختيار بالمسار المتميز للروائي الذي شكّلت نصوصه تحوّلات حاسمة في تاريخ الرواية العربية عامة والمصرية خاصة من خلال طرح أسئلة الكتابة، وتأسيس

[50] – صنع الله إبراهيم (مواليد القاهرة 1937م) روائي مصرى يميل إلى الفكر اليسارى ومن الكتاب المثيرين للجدل وخصوصاً بعد رفضه استلام جائزة الرواية العربية عام 2003 م، والتي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة

عناصر بناء واشتغال بكيفية جديدة، تتضافر فيها مستويات الخطاب السردي[51]، وهو ما حاولت السيميوطيقا السردية تجليته، بما وفرته من إمكانات تحليلية وأدوات علمية جديدة، وقد شكّل ذلك المرجعية النظرية للناقد الذي دأب على استثمار مفاهيم وإجراءات مدرسة باريس السيميائية، غير أنّنا سنركز متابعتنا هذه فقط للتحليلات التشاكلية التي قدّمها عبد المجيد نوسي بمناسبة مقاربته لرواية (اللجنة) مقاربة سيميائية.

تشغل الدراسة التشاكلية للناقد الفصل الثالث من الكتاب تحت عنوان: (تشاكلات الخطاب الروائي: نحو الانسجام الدلالي)، يتزاوج في هذا الفصل النظري بالتطبيقي، والنظرة الشاملة بالنظرة الخاصة، والإجراء الغربي بالإجراء العربي.

بعدما يقدّم لنا عبد المجيد نوسي التصورات النظرية الغربية التي أسست مفهوم التشاكل تحديـدا وتنويعا وتوسيعا، يحاول تفعيل هذا المفهوم بإجرائه على رواية (اللجنة)، ويفتتح تحليله التشاكلي بأول عتبة نصية يتحقق فيها التشاكل العام، هي عتبة العنوان(اللجنة).

يشرف العنوان على المقاطع الروائية كوحدة معجمية رئيسة تتناسل منها المسارات التصويرية للملفوظات الخطابية التي تنتج تشاكلات سياقية تتوالد من التشاكل العام الذي أسّسه العنوان باعتباره " تجميع مكثّف لدلالات النص. إنّ البؤرة قد يستقطبها العنوان ثم يتم ترددها في مقاطع النص، فتأتي تلك المقاطع تمطيطا للعنوان وتقليبا له في صورة مختلفة، فالكلمة المحور والتي هي العنوان تتحوّل إلى الجملة المنطلق لتناسب النص عبر تشاكلات وتقابلات عدة ليمرّ

[51] – عبد المجيد نوسي: **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، ص 5

على الجملة الرابطة وتتلاقى هذه الآليات جميعها في الجملة الهدف"[52] والجملة هنا لا يقصد بها المستوى التركيبي للخطاب، وإنمّا تتعيّن للكلية التي تسم الملفوظات في انطلاقها وتدرجها وغايتها، وهو ما يوضّحه المخطط الآتي:

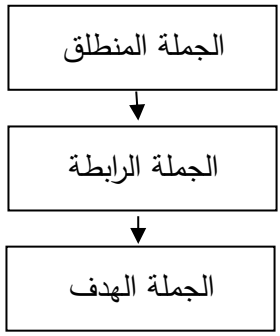

ومادام العنوان كذلك فهو ينطوي على مستويات مترابطة و متضافرة عضويا، لا بدّ من فصلها فصلا إجرائيا حتى يسهل تتبع و تحليل العناصر المكوّنة للوحدة المعجمية الرئيسة.

إنّ تحليل العنوان – حسب عبد المجيد نوسي– يمرّ عبر المستويات الآتية:

–المستوى التركيبي:

يتمّ فيه " تحليل مجمل العلاقات بين مختلف الدلائل المكوّنة للعنوان"[53]، بدراسة وتحليل البنية التركيبية للعنوان.

–المستوى الدلالي:

يتناول " مجموع العلاقات بين الدلائل المكوّنة للعنوان و بين التمثيلات الذهنية لهذه الدلائل"[54] بفحص بنيته الدلالية.

---

[52] – عبد الجليل منقور: "المقاربة السيميائية للنص الأدبي، أدوات و نماذج"، **محاضرات الملتقى الوطني الأول(لسيميائية والنص الأدبي) قسم الأدب العربي**، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2001، ص61

[53] – المرجع السابق: ص 111

[54] – المرجع نفسه: ص 111

-المستوى المرجعي:

يهتم بـ " العلاقات التي توجد بين الدلائل المكوّنة للعنوان وبين الأشياء التي تحيل إليها"[55] بالنظر إلى البنية المرجعية التي تربط الدلائل بالأشياء، ويكون هذا الارتباط ارتباطا غير مباشر، أي أنّه يتحقق بواسطة (أثر المعنى) الذي تفرزه البنية الدلالية للعنوان.

-المستوى التداولي:

يكمن في " العلاقات التي توجد بين دلائل العنوان بصفته قولا وبين مستعملي العنوان"[56] ويتم دراسة ذلك من خلال البنية التداولية للعنوان، من جهتين، من جهة السارد الذي يحدد العنوان، إمّا كموقع نجدة للقارئ لاستيعاب العمل الروائي، أو كموقع مضلل يخلط حسابات المتلقي حينما تتوافد عليه المقاطع السردية الأخرى، ومن جهة القارئ الذي يتمركز في المنظور المناسب لتقبل ما سيقوله له السارد.

3-المستوى التركيبي لعنوان الرواية (اللجنة):

يميّز عبد المجيد نوسي في هذا المستوى ثلاث بنيات أساسية:

-البنية الأيقونية للعنوان:

إنّ شكل الوحدة المعجمية(اللجنة) يظهر في غلاف الكتاب" أيقونا يتكوّن من حروف تيبوغرافية غليظة، مائلة ومثبتة في أعلى صفحة الكتاب. ويحتل حيزا نصيا واسعا بالمقارنة مع عناصر الغلاف الأخرى: اسم الكتاب واسم دار النشر "[57]، وهو ما يسم العنوان طبولوجيا بالبروز والتميّز في مواجهة العناصر الشكلية الأخرى، مما دفع الناقد إلى استخلاص جملة من المؤشرات الخطابية والتداولية:

---

[55] – المرجع نفسه: ص 111

[56] – المرجع نفسه: ص 111

[57] – المرجع نفسه : ص 112

-العنوان يمثّل علامة إخبارية موجّهة للقارئ.

-العنوان يعبّر عن مقصدية الكاتب الضمنية في علاقته بالقارئ من حيث الإقناع أو التأثير.

- هو عامل تهيئة لاستقبال ما سيرد عليه من دفقات سردية.

-يكتسي بعدا تداوليا متميزا يحرّض على قراءة الخطاب الموجّه إليه عبر الرواية[58].

-البنية الصوتية:

اللجنة تحيل على مجموعة من الفونيمات(ال+ل+ج+نة) ترتبط ببعض آثار المعنى الافتتاحي المتعلق بشيء عام و جماعي[59]، غير أنّ هذا التحديد يبقى عاما وغامضا، إذ لم يوضّح الناقد كيف تشتغل هذه البنية الصوتية المشرفة على الرواية، والعلاقة التي تساهم بها في تأسيس الإطار العام للتشاكل وما يتفرع عنه.

-البنية التركيبية:

يلاحظ عبد المجيد نوسي أنّ العنوان تركيبيا يتميّز بالإضمار السياقي، أي بإضمار بعض العناصر المكوّنة للجملة في اللغة العربية وبناء على هذه الملاحظة يرى الناقد أنّ:

-الوحدة المعجمية (اللجنة) غير مسبوقة بفعل، وهو أمر مفترض من خلال فحص بنية التركيب في الجملة .

-هذه الوحدة لا تتعالق مع عنصر آخر بعلاقة الإسناد.

-الإضمار السياقي:

ينفصل العنوان في شكل جملة توحي بإضمار سياقي يتمحور حول العلاقة بين اللجنة ومترشحها السارد، وانطلاقا من هذا الإضمار يقترح الناقد

---

58 - ينظر المرجع نفسه: ص 112

59 - ينظر المرجع نفسه: ص 112

قراءة تأويلية للعنوان بإضافة اسم معطوف للوحدة المعجمية لتصبح(اللجنة والمترشح)[60] ، فيما يرى محللون آخرون أنّ(اللجنة)مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خطاب الرواية بعد قراءته[61].

وغرض هذا الإضمار – في تقدير عبد المجيد نوسي– هو التبئير على العنوان وإبراز الهيمنة التي يمارسها على المسارات التصويرية المؤسسة في المقاطع السردية، " فالتبئير التركيبي للجنة يجعل دلالتها ستكون أساسية بالنسبة لدلالة خطاب الرواية، لأنّها تمثّل بصفتها عنوانا النواة الاستهلال التي سيتولد عنها خطاب الرواية"[62].

وانطلاقا من هذه الجزئية التركيبية يعيد الناقد ترتيب المؤشرات التي تؤسس التشاكل العام بين العنوان والمقاطع السردية التي تليه، والتي تتناسل منها تشاكلات فرعية ترتبط بخيوط متشابكة مع التشاكل العام، وفق ما يأتي:

"– التميّز الأيقوني مع العناصر الأخرى.

–التبئير بإضمار العناصر التركيبية و السياقية"[63].

وبناء على النتيجتين السابقتين يصبح العنوان " نواة أساسية تمثّل دلالتها إطارا عاما ترتبط به كل الدلالات الجزئية الأخرى التي ينتجها الخطاب، مما يجعل من العنوان نقطة توالد وانسجام الخطاب"[64].

---

60 – ينظر المرجع نفسه، ص 112

61 – ينظر جميل حمداوي: "السخرية في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم"، **الحوار المتمدن**، 2006/10/25، www.m.ahewaar.org

62 – عبد المجيد نوسي: التحليل السيميائي للخطاب الروائي ص 113

63 – المرجع نفسه: ص 113

64 – المرجع نفسه: ص 113

4-المستوى الدلالي للعنوان:

البنية الدلالية تنبثق من عنصرين متعالقين يمثلان بداية تناسل الخطاب وتوالده:

-العنصر(أ): يتكوّن من الدلائل اللغوية التي تركّب العنوان.

-العنصر(ب): يشمل التمثيلات الذهنية الدلالية التي تتصل بالمركبات اللغوية عندما تتفاعل بالسياق السوسيوثقافي للدلالات[65].

إنّ العلاقة بين (أ) و (ب) يمكن تحليلها تحليلا سيميوطيقيا كالآتي:

-تحليل البنية الدلالية لمكوّنات العنوان يفترض فحص العلاقة بين التركيب اللغوي والتمثيلات التي تحيل إليها في علاقتها بدلالة الرواية.

-الاعتماد على التحليل المقوّماتي للعنوان لتتّبع خيوط التشاكل، بتحليل الدلالة السيميائية المرتبطة بالمقوّمات النووية والدلالة السياقية المرتبطة بالمقوّمات السياقية[66].

-المقوّم النووي للعنوان:

(اللجنة) تتركب من مجموعة من المقومات النووية:

/+أناس/،/+عاقلون/،/+أحياء/،/+مجموعة أفراد/،/+عام/،/+مجرد/،/+غير معدود/، /-فرد واحد/، /-مخصصة/

تعتبر هذه المقوّمات الجوهرية مقوّمات ملتصقة بالوحدة المعجمية للعنوان، وهي التي تشكّل نواة الوحدة المعجمية، وهذه النواة تتّسم بالثبات والاستقرار، ومع ذلك تتشكّل منها مجموعة من المسارات المقوّماتية، بحيث يجعلها السياق ممكنة ومحتملة على مستوى الملفوظات السردية للرواية.

---

[65] - ينظر :المرجع نفسه: ص113

[66] - المرجع نفسه: ص 114

وبعد هذا التحليل يكتشف الناقد الدلالة الجامعة للمقوّمات النووية السابقة. إنّها تحيل على مجموعة من الأفراد و تلغي وجود فرد[67].

إضافة إلى المقوّمات النووية السابقة يستخلص الناقد– بعد تتبع المسارات التصويرية لخطاب الرواية– مجموعة من المقوّمات الناشئة التي ولّدتها المقولات المقوماتية المتدرجة والمتعددة وفق ما يلي:

"– اللجنة يمكن أن تحيل إلى فضاء قانوني يحكمه إطار معيّن، تحيل إلى أفراد عاديين ينجزون نشاطا ما، تحيل إلى أفراد عسكريين، تدل على أفراد مدنيين يقومون بعمل إداري، تؤشّر على مجموعة أفراد يبتون في ملفات، تحيل إلى أفراد يصدرون أحكاما، تمثّل مجموعة مسـؤولين "[68]. هذه المقولات المقوّماتية نشأت من رحم النواة الجوهرية، ونمت في السياق التصويري للخطاب باعتبارها مسارات ممكنة ومحتملة وهو ما تؤكده مقولة غريماس في هذا السياق:" الوحدة المعجمية تمثّل تنظيما مقوّماتيا ممكنا لا يتحقّق –باستثناءات قليلة– (حينما يكون أحاديا على مستوى الدلالة) أبدا على هذه الشاكلة داخل الخطاب المتمظهر في كل خطاب، في الوقت الذي يحدّد فيه تشاكله الدلالي الخاص، لا يمثّل إلا استثمارا جزئيا جدا للإمكانات الكبيرة التي يتيحها له المستودع المعجمي. وإذا كان يتابع طريقه، فإنّما يتركه مزروعا بصور العالم التي لفظها، وهي التي تستمر في ممارسة وجودها الممكن، وهي قابلة للانتعاش والتمظهر إثر أقل مجهود للتذكر"[69]

تبرز المقولة الغريماسية السابقة التنظيم الدلالي للوحدات المعجمية التي تشتمل على مقومات جوهرية وأخرى واردة ناشئة عن المسارات المقوّماتية

---

[67] – ينظر المرجع نفسه: ص 115

[68] – المرجع نفسه: ص 115

[69] – المرجع نفسه: ص 116

المزروعة في السياق الخطابي، والتي نمت وتناسلت انطلاقا من المقوّم النووي الأصيل، كما أنّ أقساما جزئية منها ترتبط بالتشاكل العام الذي تفرزه المقوّمات النووية المهيمنة على الخطاب في افتتاحيته والمسيطرة في توجيهه. ومع ذلك تبقى هذه المسارات تأويلية ممكنة ومحتملة قد لا يتحقق بعضها على مستوى المقاطع السردية.

اعتمادا على ما سبق يرى الناقد أنّ العنوان يتمظهر في شكل بنية دلالية يمكن تمثيلها في المخطط الآتي:

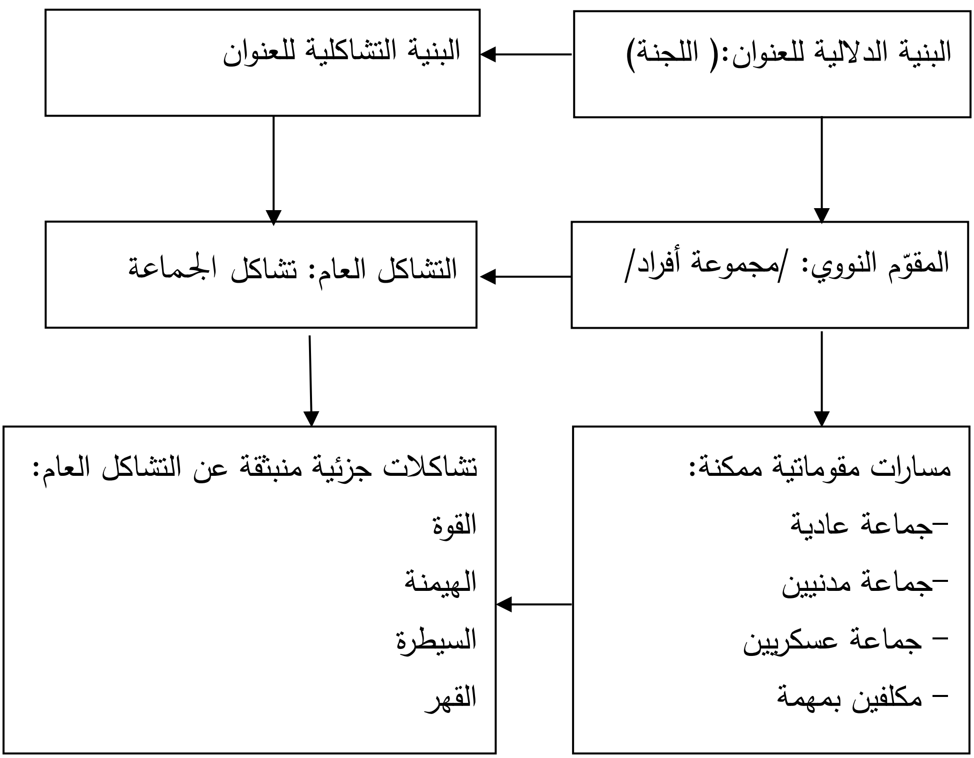

إنّ التشاكلات الجزئية السابقة المنبثقة عن التشاكل العام سوغتها المؤشرات التي حددتها بنية العنوان التركيبية والأيقونية والدلالية:

– الإضمار التركيبي والتبئير للجنة.

-التميز الأيقوني.
-الإضمار السياقي."[70]

5-الإطار العام المنظّم للخطاب(تشاكل اللجنة):

باستثمار المفاهيم التي جاءت بها النظرية الكارثية، وبناء على الفرضية الموقعية حاول عبد المجيد نوسي تقديم مقاربة سيميائية للعنوان في علاقته بالخطاب ككل، من حيث البناء المقولي المتميّـز والتجريد الخالص وموضعته الطوبولوجية في مواجهة العناصر الشكلية الأخرى.

" إنّ الخطاب، بصفته نسقا، يتمفصل إلى مجموعة من الحالات الداخلية التي توجد بينها مجموعة علاقات تحكمها سيرورة داخلية، وأول هذه الحالات هي الحالة الأولية المتمثلة في العنوان: اللجنة"[71]

وطبقا للاعتبار الطوبولوجي والفرضية الموقعية فإنّ العنوان يشرف على الخطاب الروائي كوحدة رئيسة تتحكّم في استقرار وتناسل النسق السردي من خلال المؤشرات الآتية:

- يحتل العنوان موقعا بارزا على صفحة الغلاف بالمقارنة مع العناصر الأخرى، وهو ما يوحي باستقلاليته في علاقته مع خطاب الرواية، وبذلك يشكّل أول نقطة التقاء بين الخطاب والمتلقي بحيث يتحاوران في علاقة مباشرة.

-" يشكّل العنوان النواة الاستهلالية التي تمثّل دليلا إخباريا وإقناعيا ودلاليا، فهو يخبر عن وجود خطاب من جنس الرواية"[72].

- يتسم العنوان بالهيمنة الخطابية، أي بالتبئير عليه من خلال إضمار العناصر التركيبية الأخرى المشكلة للجملة.

---

[70] - المرجع نفسه: ص 117

[71] - المرجع نفسه: ص 121

[72] - المرجع نفسه: ص 122

كلّ هذه العناصر تؤكّد على احتلال العنوان موقعا مركزيا منظّما للخطاب تتوالد منه المسارات التصويرية السردية، وانطلاقا منه تنمو مقاطع الرواية وتتناسل لتخصيص تشاكل اللجنة العـام، وذلك بـ:

" –تحديد العناصر الجزئية والمكوّنة لهذه الكلية والعمل الجماعي.

–التأشير على جملة السمات والصفات التي تخصّص العامل الجماعي"[73].

وتبعا لهذين العنصرين يحدّد عبد المجيد نوسي تشاكلات فرعية تابعة للتشاكل العام، وهي تشاكلات تتوزع عبر مقاطع الرواية لتضمن انسجام الخطاب واتساقه، ثم يقوم بتحليل آليات التراكم التي تقيم التشاكلات.

6– آليات توالد التشاكل:

– التشاكل العام:

يتجسد التشاكل العام في الوحدة المعجمية الرئيسة التي تتصدر الخطاب الروائي، والمتمثلة في العنوان(اللجنة) حيث يتأسس على مستواه تشاكل **الجماعة** طبقا لموقعه الأيقوني والتركيبي والدلالي.

ويمثّل العنوان من خلال هذا الوصف **حالة أولية (أ)** تحتل **المجال الأول مج1.**

–التشاكلات المتناسلة:

التشاكل كما هو معروف يعتمد على خاصيتي التوارد والتراكم اللتين تتحكمان في إثراء الخطاب وتوالده بواسطة آلتين أساسيتين:

- **التراكم القسري:** حينما يتحدد في الخطاب تشاكلا تتسلسل منه تسلسلا ضروريا وحدات معجمية تنشئ في السياق مقوّمات سياقية مرتبطة بالمقوم النووي.

[73] – المرجع نف ص: 124

- **التراكم الاختياري:** من خلاله تتداعى الوحدات المعجمية بتلك المتعالقة بالتشاكل العام للخطاب عن طريق التقارب أو الترادف أو التشابه[74].

عن طريق الآليتين السابقتين يتدرّج الخطاب نحو التحوّل من **الحالة الأولية(أ)** إلى **حالة ثانيـــة(ب)** تتعالق بالأولى انطلاقا من المسار الداخلي الذي يتحكم في كل الحالات حيث يتمطّط الخطاب ويتوالد من **الحالة الأولية (أ)**، ويبدأ بتشكيل مقوّمات سياقية جديدة تؤسس تشاكلا فرعيا مرتبطا بالتشاكل العام، واعتبارا لهذا حاول عبد المجيد نوسي تتبع المسارات التصويرية وتحليلها

لاكتشاف التشاكلات الفرعية الأخرى المنبثقة عن الإطار العام للتشاكل الذي أفرزه العنوان، ومن هذه التشاكلات يمكن أن نذكر:

أ-**تشاكل العضوية:** يلاحظ الناقد في الوحدات المعجمية: (الحارس ص5، أعضاء اللجنة ص5، واحد منهم ص6، لجمع المعلومات عن أعضائهم ص10، كان عددهم كبيرا ص11، أعضاء اللجنة ص 61، بقية أعضاء اللجنة ص 65)[75].

تراكم مقوّم سياقي يتناسل من المقوّم النووي الجوهري للعنوان.

أعضاء اللجنة : /+ عضوية/، /+أفراد/

عددهم كبير : /+أفراد/، /+الكثرة/

تحيل هذه المقوّمات الناتجة على مقوّم سياقي متراكم هو مقوّم العضوية الذي ينسجم في تعالقه بوحدات المسار التصويري الأخرى:

(يدخلون منه ص6، لقد حرصنا في كل أعمالنا ص 106)[76].

---

[74] – ينظر المرجع نفسه: ص 124-125

[75] – ينظر المرجع نفسه ص: 126

[76] – المرجع نفسه: ص 126-127

ب–تشاكل غرابة و سرية اللجنة:

يتدرج الناقد في فحص المسارات التصويرية لاستخراج المقومات السياقية المتولدة والمتفرعة عن المقوّم النووي، والتي تؤسس تشاكلات فرعية تخصّص تشاكل الجماعية المحدّد للإطار العام التشاكلي في مركزه الخطابي الموجّه و المنظّم للمقاطع السردية المتسلسة والمتوالدة.

بعد الملاحظة والفحص يجد الناقد أن المسارين التصويريين:

- (لغة اللجنة ص9، عمل اللجنة ص10، ستار من السرية المحكمة قد أسدل على أسمائهم و مهنهم ص10)
- (هناك باب آخر يدخلون منه ص9، ليس ثمة قاعدة محدّدة لعمل اللجنة ص10، فعكفت على دراسة اللغة التي تستخدمها اللجنة في مقابلتها ص9)[77]

يقومان على وحدة خطابية مركزية تتمثل في الوحدة (وجدت ستارا من السرية) والتي تطبع باقي الوحدات بسمة الغموض والسرية التي تكتنف وضعية اللجنة، مما ينشئ مقوّما سياقيا جديدا يتمحور حول السرية يقود إلى تأسيس تشاكل فرعي هو تشاكل السرية يخصص و يحدد سمة الجماعية التي يتمركز حولها التشاكل العام.

ج–تشاكل قوة اللجنة:

يستخلص الناقد هذا النوع من التشاكل من المسار التصويري الآتي:

(كانت الشرائط الحمراء الموشاة بالذهب فوق ياقات ستراتهم تنطق برفعة شأنهم ص 11)[78]

---

[77] – عبد المجيد نوسي: **التحليل السيميائي للخطاب الروائي**، ص 127

[78] – المرجع نفسه: ص128

بحيث تحيل الوحدتين (الشرائط، رفعة شأنهم) على مقوّم سياقي ناشئ هو العلو في هرم السلطة.

أمّا المسار التصويري:(وليس معنى هذا أنّي الذي سعيت إلى هذا اللقاء، وإنّما قيل لي إنّه لا مندوحة منه، ولهذا جئت ص8) فتحيل وحداته على نوعية العلاقة التي تربط اللجنة بالسارد العامل، وهي علاقة غير متكافئة المواقع تقوم على الثنائيات الآتية:

اللجنة(العامل الجماعي)	السارد–الذات–العامل
القوة	الضعف
المهيمن	المهيمن عليه

تثبت هذه الثنائيات في تعالقها مكانة اللجنة وعلاقتها بالسارد الذات، فهي ليست لجنة عادية تتسم بالجماعية فقط، وإنّما لجنة ذات مكانة عالية في هرم السلطة، وهو ما يؤشّر على تشاكل فرعي جديد يتمثل في تشاكل القوة والسلطة.

لقد مكّن تحليل تشاكلات الخطاب الناقد من تحديد " تشاكلات: الجماعية، غرابة وسرية اللجنة، قوة اللجنة، وقد نتجت عن تحليل التراكم الحشوي للمعجم والتراكم الدلالي للمقومات السياقية. وتعد هذه التشاكلات متعالقة، ويظهر تعالقها في الوظائف التي تحققها على مستوى خطاب الرواية بتحديد قراءة موحّدة ومنسجمة"[79].

تثبت هذه الثنائيات في تعالقها مكانة اللجنة وعلاقتها بالسارد الذات، فهي ليست لجنة عادية تتسم بالجماعية فقط، وإنّما لجنة ذات مكانة عالية في هرم السلطة، وهو ما يؤشّر على تشاكل فرعي جديد يتمثل في تشاكل القوة والسلطة.

[79] – المرجع نفسه: ص: 129

لقد مكّن تحليل تشاكلات الخطاب الناقد من تحديد " تشاكلات: الجماعية، غرابة وسرية اللجنة، قوة اللجنة، وقد نتجت عن تحليل التراكم الحشوي للمعجم والتراكم الدلالي للمقومات السياقية. وتعد هذه التشاكلات متعالقة، ويظهر تعالقها في الوظائف التي تحققها على مستوى خطاب الرواية بتحديد قراءة موحّدة ومنسجمة"[80].

7-التشاكل الدلالي ونظرية الكوارث:

اعتمادا على نظرية الكوارث يميز عبد المجيد نوسي نوعين من الكوارث يحددان القيمة الطبولوجية للتشاكلات الدلالية، كارثة المواجهة وكارثة التشعب.

-كارثة المواجهة:(الصراع والجدلية):

لا يقتصر دور التشاكل الدلالي على إبراز آليات التوالد والانسجام داخل الخطاب فقط، بل يتعدى ذلك إلى تتبع دينامية الملفوظات الخطابية، "وتسهم هذه الدينامية القائمة على التفاعل بين العوامل والمواقع في توالد الخطاب وفي ضمان انسجامه"[81]. وفي رواية اللجنة يبرز الناقد دينامية المقاطع السردية من خلال تشاكل القوة الذي يميز العامل الجماعي: اللجنة، و يحيل – في تقدير الناقد– تركيبيا إلى عامل ثان:

-تشاكل قوة اللجنة: يمثل تركيبيا إشارة للعامل الجماعي الثاني(اللجنة والسارد-العامل الذات)

-تشاكل قوة اللجنة: دلاليا يشكل سمة من سمات العامل الجماعي[82].

وهذا باعتبار المقوّمات السياقية الجزئية التي تبني هذا التشاكل:

" – سلطة اللجنة.

- الاستخبار عن المترشح.

---

[80] – المرجع نفسه: ص: 129

[81] – المرجع نفسه ص 130

[82] – المرجع نفسه :ص 130

- اقتحام الفضاء المكاني للعامل–الذات.
- محاصرة العامل الذات داخل الفضاء المكاني الذي يرتبط به.
- إصدار قرار لمعاقبة العامل الذات"[83].

يلاحظ الناقد مما سبق أنّ تشاكل القوة يحيل تركيبيا إلى وجود عاملين:

- العامل الذات في ارتباطه بالعامل الجماعي الثاني.
- تشاكل القوة يحيل تركيبيا إلى السارد–العامل الذات1/العامل الجماعي2

ومن هذه العلاقة التركيبية يستخلص الناقد نوعية العلاقة الرابطة بينهما، وهي علاقة مبنية على الصراع والمجابهة " لكون العامل الجماعي يحاول الهيمنة على السارد–العامل الذات. وهذه العلاقة القائمة بين عاملين داخل خطاب الرواية، والمبنية على الصراع والجدل هي في الأصل علاقة من علاقات التركيب العاملي، لكن يمكن النظر إليها من المنظور الكارثي بوصفها تحقق على مستوى الحالة الثانية: بعد المركز المنظّم"[84].

من خلال هذا التحليل يظهر جليا تأثّر الكاتب بمفاهيم سيميوطيقا السرد وخاصة نظرية العوامل التي يحاول ملاقحتها بمفاهيم النظرية الكارثية في التوزيع الطبولوجي لفضاء الخطاب مستفيدا مما توصل إليه روني توم وجون بيتيتو في هذا المجال.

تقوم النظرية الكارثية على مبدأ أساسي يتخذه الناقد منطلقا لتحليله الموقعي والطبولوجي للخطاب، ومؤدى هذا المبدأ أنّه" حين التوفّر على عنصرين غير منهارين عا1 وعا2 لوظيفة ممكنة ويكونان على نفس المستوى(عا1) و(عا2).

---

[83] – المرجع نفسه: ص130

[84] – المرجع نفسه: ص 130

إنّ هذه الوضعية اللا مستقرة يمكن أن تستقر بطريقتين: يمكن لـ عا1 أن يهمين على عا2 والعكس"[85].

يؤكّد المبدأ السابق أنّ الخطاب الروائي خطاب يتميّز بالدينامية التي تقوم على عناصر الانسجام والتناسل والتوالد والحوار والصراع والحركة والتحول والانتقال والقوة والتغيير والتغير...

وفي رواية اللجنة يتمظهر الحوار والصراع والحركة في فضاء الخطاب في العلاقة القائمة بين العامل الأول(اللجنة) والعامل الثاني(السارد–الذات)، مما يؤدي إلى حدوث كارثة المواجهة" لأنّ الخطاب ينتقل من المركز المنظّم: العنوان، إلى حالة ثانية بعد دخول قيمة جديدة هي قيمة توالد وتناسل الخطاب، وهذا يعني أنّ الخطاب ينتقل من موقع، على المستوى الطبولوجي إلى موقع آخر من الموقع الذي يحتله العنوان والذي يتميز بوجود تحقّق عامل واحد هو العامل الجماعي: اللجنة، إلى موقع يتميّز بتعددية العوامل المتصارعة، ويشكّل انتقال الخطاب إلى هذه الحالة الثانية انتقالا كارثيا يحدّد كارثة المواجهة التي تقوم على احتلال مجال جديد هو المجال الثاني"[86].

أي أنّ القيمة الطبولوجية للتشاكلات المحدّدة تظهر كما يلي:

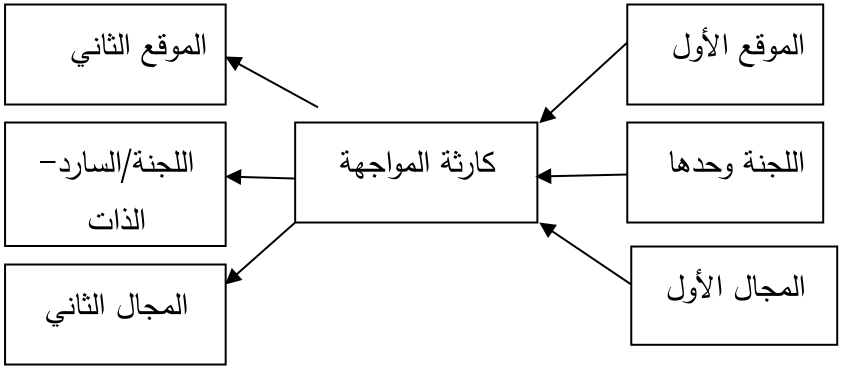

[85] – المرجع نفسه: ص131

[86] – المرجع نفسه: ص 131

يوضّح المخطّط السابق كيفية انتقال الخطاب من المجال الأول إلى المجال الثاني انتقالا كارثيا، وذلك بالانتقال من عنصر فاعل واحد إلى عنصرين فاعلين، هما : العامل الجماعي المتمثّل في اللجنة، والسارد الذات، وهو ما يقيم الاستقرار انطلاقا من العلاقة الجديدة المنتجة في المجال الثاني، أي علاقة التضاد النوعي بين اللجنة والسارد والتي تدخلهما في مواجهة وصراع تظهر في:

-المواجهة

-**السارد الذات:** يواجه اللجنة ويستخدم كل أساليب الإقناع، انطلاقا من موقعه كمثقف وباحث عن المعرفة يحاول تفسير بعض الظواهر الاجتماعية والواقعية.

-**اللجنة:** لا تقتنع بما يقدّمه، وتواجهه ببعض الأفعال والتصرفات التي تعرقل حركته، من خلال جمع معلومات عنه، محاصرته في أماكن تموقعه، إصدار قرارات قاسية بشأنه.

- مواجهة اللجنة:

- العاملان يظهران في مستوى واحد بناء على المواجهة القائمة بينهما.
- عدم استقرار الخطاب لتساوي الطرفين.

-نتيجة المواجهة:

بناء على التشاكل الأخير الذي حلّله الناقد(تشاكل القوة) يتجه الخطاب نحو الاستقرار بهيمنة العامل الجماعي(اللجنة) على السارد الذات، مما يقود الخطاب إلى تحقيق انسجامه الداخلي تبعا للتشاكلات الدلالية التي تحقّقه والتي تخصّص العامل الجماعي(اللجنة):

-تشاكل الجماعية.

-تشاكل العضوية.

-تشاكل الغرابة والسرية.

-تشاكل القوة.

تحيل كل هذه التشاكلات على قراءة منسجمة ومتشاكلة يهمين فيها العامل الجماعي(اللجنة)على العامل الذات وجودا وموقعا وامتدادا، لأنّ أغلب المقاطع السردية التي تركّب المجال الثاني تتمحور حول سمات العامل الجماعي (اللجنة).

يتركّب المجال الثاني من خمسة مقاطع سردية يلخّص الناقد محتواها كالآتي:

-"م1: تتمحور المسارات التصويرية فيه حول اللقاء بين اللجنة والعامل-الذات، غير أنّ أغلب هذه المسارات تسم اللجنة بسمة الجماعية وسريتها وغرابتها.

-م2: يتميّز بتمحور مساراته التصويرية حول بحث السارد- العامل الذات في سيرة الدكتور، وحول علاقة المواجهة التي تربط بينه و بين اللجنة.

-م3: تتمحور مساراته التصويرية حول قوة اللجنة التي تقتحم الفضاء المكاني للعامل الذات وتأمره بتوقيف بحثه في سيرة الدكتور.

-م4: تتمركز المسارات التصويرية المكوّنة له حول حصار القصير عضو اللجنة العامل الذات داخل الفضاء المكاني المرتبط به: البيت لإرغامه على التخلي عن موضوع البحث في مسار الدكتور.

-م5: تتميّز المسارات التصويرية المكوّنة لهذا المقطع بتوجيه الأسئلة من طرف العامل الجماعي للسارد-الذات حول إنجازه لفعل القتل ضد الممثل: القصير، عضو اللجنة ويقرّر العامل الجماعي إلحاق العقوبة القاسية بالعامل الذات"[87].

[87] - المرجع نفسه: ص 133

يلاحظ الناقد من خلال هذه المسارات التصويرية اتساع مواقع تواجد العامل الجماعـي(اللجنة) في مقابل انحصار موقع السارد–الذات داخل الفضاء الروائي، مما يؤشّر على هيمنة العامل الأول و فرض الاستقرار على الخطاب في جميع مقاطعه، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على الانسجام الذي يسم الخطاب في كليته[88].

يصل نوسي بعد ذلك إلى نتيجة مهمة، مفادها: أنّ "علاقة المواجهة بين العاملين هي التي تجعل خطاب الرواية ينمو انطلاقا من المركز المنظّم الذي يحدّد العامل الجماعي: اللجنة إلى المجال الثاني الذي يخصّص هذا العامل في علاقته بالسارد–العامل الذات. فالخطاب لا يمكن أن ينمو خارج علاقة المواجهة، لأنّ تمطيطه وتناسله من مقاطع ومسارات تصويرية عن طريق التراكم القسري للوحدة المعجمية، إنّما يتم لتخصيص العامل الجماعي بمجموعة من السمات:

–الجماعية.

–الغرابة و السرية.

–القوة.

في علاقته بالسارد–العامل الذات"[89].

الإحالات:

1– جميل حمداوي:" السيميوطيقا والعنوان" **مجلة عالم الفكر**، مجلد 25 رقم3، الكويت.

2– عبد المجيد نوسي: **التحليل السيميائي للخطاب الروائي، البنيات الخطابية–التركيب–الدلالة**، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2002.

3– Voir :Greimas : **Du sense2**

---

88 – ينظر: المرجع نفسه: ص 133

89 – المرجع نفسه:134

[4] – عبد الجليل منقور: "المقاربة السيميائية للنص الأدبي، أدوات و نماذج"، **محاضرات الملتقى الوطني الأول(لسيميائية والنص الأدبي) قسم الأدب العربي**، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2001، ص61

[5] – جميل حمداوي: "السخرية في رواية اللجنة لصنع الله إبراهيم"، **الحوار المتمدن**، 2006/10/25، www.m.ahewaar.org